فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "دورة شرح الأربعين النووية"
الحديث السابع
لفضيلة الشيخ: هاني حلمي
رابط المـادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-68133.htm

الدين النصيحة

عن أبي رُقيّةَ تَميمِ بن أوْسٍ الدَّاريّ –رضي الله عنه– أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– قال: "الدينُ النصيحة؛ قلنا لِمَنْ؟ قال: للهِ ولكتابهِ ولرسولهِ ولأئمةِ المسلمينَ وعامَّتِهم".

هذه الأحاديث القصيرة –أعني المكونة من كلمتين–، الشافية الكافية، نحن نحتاج أن ننشر هذه الأحاديث بين الناس –في زمن التويتات– فكل شيء أصبح يتسم بالسرعة، أصبحنا نلخص الأمر في سطر واحد، أما النبي – صلى الله عليه وسلم– أوتي جوامع الكلم، يعني جوامع الكلم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لَخَّص الدين كله في خمس كلمات: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فماذا يعني أن أنصح ربنا؟! لا أفهم المقصود! ماذا يعني أن أنصح النبي؟ ما معنى النصيحة هنا؟

معنى النصيحة

أولاً: الدِّين هنا معناه: الملة التي هي دين الإسلام، أي أن عماد الدين وقوامه على النصيحة، والنصيحة كلمة يُعبَّر بها عن إرادةِ الخير، وكلمة النُّصح أصلها من تخليص شيءٍ في شيء، يقولون في هذا الزمان: الناس لا تقبل النصح، ويقولون أيضًا الإنسان مخلوق رافض للنصح، ماذا يعنون بقولهم رفض النصح؟!

النصيحة معناها في اللغة من نصحتُ العسل أي: صفيّته من الشمع، يقال لكي تأخذ العسل لابد أن تلدغ لدغة من النحلة، فهكذا النصيحة كأنها لدغة.

فمثلاً يقال لك: يا أخي اتقِ الله، فتقول لماذا يقول لي اتقِ الله؟ هل أنا سيئ لهذه الدرجة؟! أو يقال لك يا أخي: انتبه لكذا وكذا، فتقول أنا منتبه، لماذا تقول لي هذا؟! وتجد نفسك لا تتقبل أي نصيحة، فلو فهمنا فقه النصيحة فسيكون عليها مدار الدين ومدار خيرية الأمة أصلاً.

فقه النصيحة

أولاً: نبدأ بالنصح للناس، لا أنصح الناس لكي أتعالى عليهم، إنما إذا نصحت فأنصح نصيحة مشفق، أنا أحبك وربنا يعلم أني أحبك، وأخاف عليك كما أخاف على نفسي، ولا أقول لك هذه الكلمات لكي أتكبر وأتعالى عليك، لكني أحب لك الخير كما أحبه لنفسي، ولأنك أخي، إذن النصيحة تخرج من ناصح مشفق على الناس وليس متكبرًا ومتعاليًا عليهم.

ثانيًا: أن تراعي أدب النصيحة حتى تجعل الناس يتقبلون نصحك، يعني يمكن أن تقدم له النصيحة بأسلوب طيب جدًا، أذكر لكم موقفًا تستشعرون فيه أدب النصح؛ يحكي أحد مشايخنا عندما كان طالبًا كان يسكن معه في المدينة الجامعية زميل له في الغرفة، وكلما قال له الشيخ تعال نحفظ القرآن أو ماشابه ذلك لا يستجيب زميله، وكان في كلية الطب فكان مشغولاً جدًا، وفي يوم من الأيام –بدلاً من أن يوبخه الشيخ وينهره ويقول له لماذا لا تقرأ وكذا وكذا– انتظر بعد أن خرج هذا الزميل لمحاضراته، لم ينزل الشيخ، وظل بالغرفة، وأخذ ملابس زميله، وغسلها، وقام بكيِّها، وجففها، ووضع في مكانها، عندما رجع الزميل من محاضراته وجدت ملابسه نظيفة؛ فسأل الشيخ: لِمَ فعلت ذلك؟ فرد الشيخ عليه: لأني وجدتك منشغلاً، وغسل الملابس يأخذ منك وقتًا؛ فساعدتك حتى تتفرغ للمصحف، انظروا إلى أسلوب النصيحة، هكذا تُقبل النصيحة، أما من ينصح وكأنه يلقي تهمة على الآخر فهذا لا ينفع وليس من أدب النصيحة.

النصيحة لله

نريد أن نفهم ما المقصود بقول النبي"النصيحة لله، ولكتاب الله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين"، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة" صححه الألباني مثلما قال: "الحج عرفة "، ومثلما قال: "الندم توبة" صححه الألباني، كأنه يقول النصيحة من أعظم أركان الدين، ومن أعظم واجباته، ومن أهم وآكد الأوامر، فقالوا: لمن النصيحة؟ قال: "لله"؛ فهل ينصح العبد ربه؟! قالوا: هنا معنى النصحية لله أي نصيحةُ العبد لنفسِه بإخلاص العبادةِ لربه، فينصح العبد نفسَه؛ لأنَّ اللهَ غنيٌّ عن نصح الناصحين، قال الله: "لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ" التوبة: ٩١

قالوا "إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ" أي إخلاص العبادة والاعتقاد لله، إذن النصيحة لله هي الإيمان بالله، التوحيد لله، إخلاص العبادة لله، القيام بالطاعة لله، موالاة ربي –تبارك وتعالى– بالحب لله والبغض لله، والإعطاء لله، والمنع لله، فالنصيحة لله هي نصيحة العبد نفسه بأن يُخلص لله.

النصيحة لكتابه

الأمر الثاني: "ولكتابه" نصيحة المسلم لكتاب الله أن يُحقق فيه خمسة أمور:

١– أن يتلوه حق تلاوته "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ" البقرة: ١٢١ "إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ" فاطر: ٢٩ في أول البعثة أنزل الله على نبيه "وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً" المزمل: ٤ إذن أولها قراءة القرآن.

٢– التدبر والفهم للقرآن، فما نزل القرآن ليُتغنى به فقط، ولا ليُتبرك به فقط ولا ليُتخذ هكذا تلاوةً وقراءة فقط، فقد قال الله عن بني إسرائيل وموقفها من كتبها: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ"

البقرة : ٧٨، إلا أماني يعني إلا تلاوة، فهُم كانوا يقرؤونه فقط، فما المطلوب منا؟ المطلوب تدبره؛ قال الله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" محمد: ٢٤ فالقلوب مقفلة ومفتاحها تدبر القرآن وفهمه والعيش معه.

٣- العمل بالقرآن بعدما فهمت وقرأت القرآن لابد أن أعمل بما فيه، فالقرآن يقول لي: "وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا" الحجرات : ١٢ فهل تذهب وتتحدث عن هذا وذاك؟ لا؛ لأنك لو فعلت ذلك كأنك لم تفهم ولم تعرف حقيقة النصيحة لكتاب الله.

٤- التحاكم للقرآن "فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا" النساء:٦٥.

٥ - الاستشفاء بالقرآن يعني ترقي نفسك الرُّقية الشرعيّة للأبدان وللقلوب "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ" الإسراء:٨٢.

إذن النصيحة لكتاب الله القرآن تكون بقراءته، وبحفظه، وبترتيله، وتحسين الصوت به، وبتدبر معانيه، وبتعليمه للناس "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" صحيح البخاري، وبالتفقه فيه، والتأمل في معانيه، والعمل به، والتحاكم إليه، والاستشفاء به.

النصيحة لرسول الله

الأمر الثالث: النصيحة لرسول الله، حق النبي علينا -صلى الله عليه وسلم- أن نُصدِّقَه فيما أخبر، مثلما فعل سيدنا أبو بكر في حادثة الإسراء، قال: "أوَ قد قال؟ إن كان قد قال فقد صدق"، فقد جلس النبي - صلى الله عليه وسلم- ذات مرة في مجلس مع الصحابة ولم يكن معهم أبو بكر ولا عمر، فحكى النبي ما حدث له في رحلة الإسراء، وكان بالنسبة لهم بها شيء من الخيال، ثم قال النبي: "فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر" صحيح البخاري، أي أني متأكد من أن أبا بكر وعمر مصدقان لما أقول، فالأمر الأول: علينا أن نصدقه -صلى الله عليه وسلم- فيما أخبر.

والأمر الثاني: علينا أن نحبه -صلى الله عليه وسلم- أكثر من أنفسِنا، ومن آبائِنا، وأمهاتِنا، ومن الناسِ أجمعين حبًا يتولد عنه الطاعة.

والأمر الثالث: أن نتأدب معه -صلى الله عليه وسلم- "لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ" الحجرات:٢، وأن نتخلق بأخلاقه، كان خلقه القرآن، وأن نلتزم بسنته "وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا" النور:٥٤، وأن نستفيد من حياته وتطبيقاتها العملية في حياتنا، ونتصرف مثله، فمثلاً لو أخذنا كيف كان النبي يديرُ

بيتَه وطبقناه فسوف تحل جميع المشاكل الزوجية.

نأخذ لطيفة: عندما حدثت حادثة التحريم ونزلت السورة باسمها، وحرم النبي –صلى الله عليه وسلم– على نفسِه أكل العسل، أو أن يطأ مارية، ونزل القرآن يتعقب –النبي صلى الله عليه وسلم– " لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ" التحريم: ١

والقصة أن حفصة وعائشة اجتمعتا على زينب؛ لأن النبي –صلى الله عليها وسلم– كان يُساميها بعائشة، فاتفقتا أنه كلما دخل النبي على إحداهما تقول له: رائحتك مغافير، والنبي يدخل –صلى الله عليه وسلم– وهو أطيب ما يكون، وهذا هو النبي الذي وصفه جابر بن سَمُرَة في حديثه؛ قال: صليتُ مع رسولِ اللهِ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ– صلاةَ الأولى. ثم خرج إلى أهلِه وخرجتُ معَه فاستقبلَه ولدانٍ، فجعل يمسحُ خدَّي أحدهم واحدًا واحدًا. قال وأما أنا فمسح خدَّي قال فوجدتُ لِيَدِه بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنةِ عطارٍ" صحيح مسلم

فالنبي – صلى الله عليه وسلم– معلمنا النظافة والطهر تقولين له رائحتك ليست طيبة؟! فالنبي –صلى الله عليه وسلم– تأذّى لذلك، ثم ذهب للأخرى أيضًا قالت: رائحتك مغافير بسبب العسل الذي تأكله عند زينب؛ فأقسم على نفسِه لا يأكل العسل.

انظروا إلى هدي النبي؛ قديمًا "قالوا: لا تأمنَنَّ امرأةً على سر وإن قالت نزلتُ من السماء" يقولون ذلك لأنَّ عادةً المرأة عاطفية فتجدها تفضفض دومًا، وهذا ما حدث مع أزواج النبي، قال الله جل وعلا: "وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً" قال لها: لاتقولي.. "فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ" ماذا قال؟ قال:أسرَّ.. "فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ"، فأخبره ربنا سبحانه وتعالى أنها أخبرت به، فماذا فعل النبي؟ "عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ" التحريم :٣

هذا هو أصل الأصول في بناء البيوت: التجاهل، فالرجل الغبيّ زوجيًا هو من يترقب امرأته ولا يتغافل عن زلاتها بل يتعقبها، ويسأل عن الصغيرة قبل الكبيرة، فكن فطنًا متغافلاً فهنا أشياء تتغاضى عنها، وأشياء تتكلم فيها هكذا فعل النبي –صلى الله عليه وسلم–لو طبقنا هذه القاعدة ستحل مشاكل كثيرة.

إذن النصيحة لرسوله –صلى الله عليه وسلم– تأدُّب بأدبه، التزام سنته، الاستفادة منها في تطبيقاتها الواقعية، نشر السنة بين الناس، رَدّ الشبهات عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ذلك حقه علينا وأكثر منه بكثير، فهذا شيء يسير حول معنى النصح لرسول الله.

النصيحة لأئمة المسلمين

الأمر الرابع: النصيحة لأئمة المسلمين، أي لحكامهم أو من ينوب عنهم؛ إما أن يكونوا العلماء أو المصلحين، أما حكام المسلمين فيجب أن يكونوا من المسلمين؛ حتى تجب طاعتهم ويجب أن يكونوا صالحين راشدين عُدول، يحكمون بالعدل، ونحن لا نحبهم لأشخاصهم؛ وإنما يجب علينا أن ندعو لهم رِفقًا بمن يرعونهم، كان بعض السلف يقول: "إن كانت لي دعوة مستجابة جعلتها في الإمام؛ لأن بصلاحه صلاح الرعية"، إذن الأمر ليس في الحاكم إنما فيمن تحت رعايته، فلو عدل الحاكم ستطيب معيشة كل من تحته، لكن إن وزن لأمور بمكيالين أو كان

جائرًا أو عنده شطط فيعيش الناس ضنك، فكيف ننصح لأئمة المسلمين؟ بالدعاء لهم، وأن نعينهم على الحق، وننبههم في رفق لما فيه صلاح الناس.

هناك أدب معين للنصيحة مع الحكام وأولي الأمر، لا يصح التعامل معهم كغيرهم، هكذا درجوا آداب معينة، تدبروا؛ عندما دخلوا على عزيز مر قالوا: "يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ" يوسف: ٨٨ هذا أدب في التعامل، فلم يدخلوا عليهم بكلام غير مهذب أو سباب، أو تطاول، لأن بإهانته يهان من تحته.

إذن ننبههم في رفق وحكمة ولطف، فإنه لا خير في أمة لا تنصح لحكامها، ولا تقول للظالم أنت ظالم، فقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– بأن السكوت عن الظلم من العقوبات، وإنه من صفات شرار القوم، كأن يكون الواحد فيهم جبانًا؛ لا يقول للظالم أنت ظالم، فلا تعطِ اهتمامًا لأي جبان لا يواجه ظالمًا بظلمه لأنهم سيعيشون الخزي طيلة حياتهم.

وماذا لو لم يكن عندي القدرة أن أواجهه بظلمه؟ يقول العلماء: "لا أمر مع العجز، ولا حرمة مع الضرورة" لكن لا نعني بذلك أن يُسكَت، لابد أن يتوجه أحد من أهل العلم أو من أولي الأمر أو الوجهاء إلى هذا الحاكم بالنصيحة؛ يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، إنما إن تُرك هكذا بدون ردع سيزيد في طغيانه، ولا خير في حاكم يستذل شعبه، ويَكُم أفواه الناصحين، ويصم أذنيه عن سماع كلمة أهل الحق والدين، إذن ننصحه ليعدل بين الناس.

النصيحة لعامة المسلمين

الأمر الأخير: النصيحة لعامة المسلمين، يقصد به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لكن ليس على طريقة الإعلام وجماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! الذين يقطعون الآذان، أو يمسكون بفتاة تسير مع خطيبها ليضربوهما! لا ليس هذا الفهم الصحيح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف بمعروف والنهي عن المنكر بغير منكر؛ فلا ينصح مؤمنٌ مؤمنًا حتى تتوافر فيه ثلاثة شروط:

١– أن يكون عالمًا بما يأمر وبما ينهى.

٢– أن يكون رفيقًا، حليمًا حال أمره ونهيه.

٣– ألا ينهَى عن منكر فيترتب عليه منكر أشد.

فلا يجوز أن يأمر أحد بالمعروف وهو جاهل، قرأ حكمًا أو مسألة قام في الناس ولبَّس عليهم، يريد أن يعيش إحساس أنه أعلى منهم وأعلم، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا يمارس الأمر بالمعروف بسبب نقص وداء عنده، إنما المطلوب أن أفعل ذلك لله ولرسوله –صلى الله عليه وسلم– أقول هذه الكلمة والنصيحة بحب وبرفق

وبعلم وبأدب واحترام؛ لكي أستطيع أن أصل لقلوب الناس بأساليب الدعوة.

"ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ " النحل:١٢٥

"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" يوسف: ١٠٨

أوضح الشروط السابقة:

١- أن يكون عالمًا: ومن مقتضى العلم الحكمة، كاختيار الوقت المناسب للنصيحة؛ فليس من الحكمة مثلاً أن يدخل أحدهم على جماعة يشاهدون مباراة كرة قدم ويصرخ فيهم ويقول: الأقصى أسير وأنتم تشاهدون الكرة؟! وإذا قلت له ما هذا الذي تفعله؟! يقول لك يا شيخ إنهم يضيعون أوقاتهم، هل هذا من الفقه؟! أن تأتي له في مباراة وتذكره بالأقصى؟! هل هذا هو الأمر الخطير؟ هناك أشياء أخطر من المباراة! فلابد من الحكمة، متى تتكلم! وهكذا الذي يرى زميله بصحبة فتاة، فيذهب له ويقول هذا حرام وكذا وكذا؟ فيستبد غضب زميله؛ فيرد عليه: وما شأنك أنت؟ ولن يسمع لنصيحته، أما إن تكلم معه بهدوء وتقرَّب له حتى يستطيع الوصول إلى قلبه فهذا الذي يفيد، إذن أول شرط علم وحكمة.

٢- حلم ورفق: تكلم مع الناس بلين ورفق، وماذا لو آذوك؟ "وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ" لقمان:١٧، وقال تعالى: "وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" العصر:٣ لا بد أن تصبر، وتحلم على الناس.

٣- ألا ينهى عن المنكر فيترتب عليها منكر أشد: هذا الشرط به عدة مسائل:

فلو مثلاً أردت أن تنهي مدخنًا عن شرب السجائر، وتأتي له بالأدلة؛ فجئت إليه ولم يقتنع فقسوت عليه كأن قطَّعت له السجائر وألقيت له العلبة، فقال لك: سأدخن شيشة، هنا النهي عن المنكر ترتب عليه منكر مساوٍ له في هذه الحالة لا فائدة من نصحك ويكون نصحك سفهًا..

أما إن قال لك: سأشرب خمرًا بدلاً من السجائر هنا ترتب على النهي عن منكرٍ منكرٌ أشد منه، في الحالة الثانية هذه يحرم عليك أن تنهي عن هذا المنكر؛ إذا غلب على ظنك أنه سيترتب عليه منكر أشد، ومثل هذه الحالة أن تنهى شخصًا عن سماع مسلسل فيعاند ويسمع أفلامًا أشد منه، أو ما يواجهنا كثيرًا في المواصلات عندما تنهى منكرًا ما؛ فينفعل من تنصحه ويسب الدين مثلاً، أما الحالة الثالثة إن رد عليك قائلاً: سأدخن ثلاث سجائر بدلاً من العلبة كاملة، هنا يترتب على النهي عن المنكر منكر أخف منه، في هذه الحالة يلزمك –نعم يلزمك– النهي عن المنكر.

الحالة الأخيرة إن تأكدت أن المنكر سيزال نهائيًا في الحالة هذه يجب عليك النهي عن المنكر كأن تعلم أنك إن تكلمت معه بحب ورفق سينتهي عن التدخين.

هذا عرض سريع لضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهذا نكون قد انتهينا من الحديث السابع.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هُنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36